# الفن الاشوري :

كان الفن الآشوري وفي مقدمته فن المنحوتات قد اكتشف قبل غيره من بقايا حضارة وادي الرافدين وكان اول ما عرفه العالم الحديث من فن تلك الحضارة ، فقد سبق ان راينا في كلامنا عن تاريخ التنقيبات في العراق كيف بدأت اولى التنقيبات في منتصف القرن الماضي في العواصم الآشورية ولا سيما نينوى وخرسباد ( دور- شروكين ) ونمرود ( كالح ) حيث عثر المنقبون الا وائل على المنحوتات الآشورية الضخمة الشهيرة ونقلوها الى المتاحف الاوربية ولا سيما المتحف البريطاني ومتحف اللوفر ( بباريس ) وهي الآن تملأ قاعات ضخمة من تلك المتاحف ومثار دهشة واعجاب في العالم الحديث .

وقبل ان نصف هذا الفن ولا سيما المنحوتات الآشورية الشهيرة نمهد لذلك بلمحة عن تاريخ تطوره فنقول ان الفن الآشوري بدأ باخذ شخصيته وطابعة المميز له منذ العصر الآشوري الوسيط ( في حدود ١٥٠٠ - ٩٠٠ ق . م ) ويمكن تحديد ولادته في القرن الرابع عشر ق . م . اما قبل هذا المعهد فأن الفن في بلاد آشور يكاد ان يكون اقتباسا او استنساخا من الفن البابلي في الجنوب ، كما ان بلاد آشور نفسها كما مر بكم كانت من الناحية السياسية والثقافية تابعة للدول الكبرى التي قامت في بلاد بابل ، ولم ينشأ فيها كيان سياسي مستقل الا منذ اواخر العصر البابلي القديم وبوجه خاص من بعد سيطرة الملك حمورابي الشهير ( ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م ) على بلاد آشور . ونذكر من الامثلة على الفن القديم في تلك البلاد من العصور القديمة ما عثر عليه المنقبون من نماذج من فن النحت في اولى العواصم الآشورية اي مدينة آشور ( قلعة الشرقاط ) وترجع في تاريخها الى عصر السلالات والعصور الذي اعقبته كالعصر الاكدي وسلالة اور الثالثة وكذلك يقال عن النماذج الفنية القليلة التي اكتشفت في نينوى من تلك العصور وابرز مثال على ذلك الرأس المسبوك من البرونز او النحاس الذي قلنا انه يمثل الملك الاكدي نرام - سين حفيد سرجون او سرجون نفسه .



Scanned by CamScanner

ومما يلاحظ في ولادة فن النحت الآشوري التي وصفنا بدايته في العصر الآشوري الوسيط ان تلك الولادة صاحبت الاستقلال السياسي الذي احرزته بلاد آشور في ذلك العصر ولا سيما منذ عهد الملك الآشوري القوى « آشور – اوبالط الاول » ( ١٣٦٢ – ١٣٣٠ قبل الميلاد ) حيث اخذت بالظهور اساليب ذلك الفن واطرزته والمواضيع التي كان يمثلها ولا سيما الشؤون العسكرية وتمثيل اعمال الملوك وحملاتهم الحربية . وتجلت هذه الخصائص والمميزات بوضوح منذ زمن الملك الآشوري « توكلتي – ننورتا الاول» ( ١٢٤٤ – ١٢٠٨ ) ق . م ) ، وفي مقدمتها تلك المشاهد العسكرية من جيوش وعربات حربية واستعمال الآجر المزجج في تزيين القصور . واخيرا تثبت الطابع الخاص للفن الآشوري في العهد الآشوري الحديث (٩١١–٦١٢ ق . م ) حيث طغى عليه ولا سيما في فن النحت تمثيل مشاهد الحروب والصيد واعمال الملوك الاخرى وتماثيل ادوات الحصار الحربية ودك مدن الاعداء وسوق الاسرى والتمثيل بالاعداء وغير ذلك واستعماله في تزيين قصور الملوك الضخمة . وقد ميز في الفن الآشوري ثلاثة اطوار تأريخية يتميز كل منها ببعض الخصائص الفنية . فالطور الاول منه يتضمن عهد الملك آشور ناصر بال الثاني ( ٨٨١ – ٨٢٩ ق . م ) الذي اشتهر بتحديده مدينة كالح ( نمرود ) وتشييده القصور الضخمة فيها ، وعهد ابنه شليمنصر الثالث ( ٨٢٨–٨٢٤ ق.م ) ، وقد اكتشفت من عهد هذين الملكين قطع فريدة مميزة لفن النحت في نمرود وغيرها مثل المسلة التي تمثل الملك الاول بمناسبة تجديد مدينة كالح ( وهي معروضة الآن في متحف الموصل ) والمسلة السوداء من عهد شليمنصر الثالث التي تمثل اعمال هذا الملك الحربية وفتوحاته مع ايجاز حملاته الحربية بالخط المسماري . اما الطور الثاني للفن الآشوري المنحوتات المكتشفة من القرن الثامن قنل الميلاد ولا سيما عهود الملوك تجلا ثبليزر » ( ٧٤٤ – ٧٢٧ ق م ) وشليمنصر الخامس ( ٧٢٦ – ٧٢٢ ق.م) وعهد سرجون الثاني ( ٧٢١–٧٠٢ ق.م ) ويشمل الطور الثالث عهود خلفاء سرجون وهم « سنحاريب » ( ٧٠٤–٦٨١ ق.م ) و « اسرحدون ( ٦٨٠–٦٦٩ ق.م )» و « آشور بانيال » ( ٦٦٨ – – ٦ / ٦٢٦ ق.م ) .



Scanned by CamScanner

ونورد فيما يأتي بعض الملاحظات العامة على الفن الآشوري في ضوء هذه الخلفية التأريخية ،

## ١ - النحت البارز والجسم :

مع ان الفنانين الآشوريين مارسوا النحت في كلا نوعية البارز( Relief ) والمجسم( In the round ) بيد ان ابداعهم الفني تجلى اكثر في النوع الاول اي النحت البارز . فأنه بالاضافة الى قلة ما جاء الينا من امثلة عن النحت المجسم وابرزها تماثيل الملوك وبعض الالهة فأن هذه الامثلة لا تضاهي في روعتها الفنية ما نشاهده من قوة التعبير والروعة التي تتجلي في المنحوتات البارزة . وفيما يقال عن تاريخ النحت البارز انه فن اصيل وعريق في حضارة وادي الرافدين ، فقد مر بنا كيف انه ظهر في بلاد بابل منذ العصر الشبيه بالكتابي ( منتصف الالف الرابع ق.م ) واستمر في التقدم والتطور في العصور التالية . ومما لا شك فيه ان اسلوب النحت البارز انتقل الى بلاد آشور حين كانت تابعة سياسيا وثقافيا الى الجنوب فسار الفنانون الآشوريون على هذا التراث القديم ، ولكنهم طوروه كما يلاحظ ذلك جليا في الموضوعات التي تناولوها في هذا النوع من النحت حيث لم يهتموا كثيرا بتمثيل الموضوعات الدينية بل ان النزعة الغالبة عندهم كانت تمثيل الموضوعات الدينوية الخاصة بشؤون الدولة الرسمية مثل حملات الملوك واعمالهم مما نوهنا به سابقا . ويمكن القول بعبارة اخرى ان فن النحت في بلاد آشور كان يخدم اغراضا دعائية أي اعلامية في تمجيد الملوك واعمالهم وتمثيل فتوحاتهم وماكانوا يحدثونه من تدمير في مدن الاقاليم الثائرة على سلطتهم وسوق جموع الاسرى والتنكيل بالثوار ، وبعضها مشاهد مروعة كسلخ جلودهم وهم احياء او وضعهم على اوتاد ( خوازيق ) الى غير ذلك من المواضيع التي كانت تعرض في اروقة القصور الملكية وممراتها وقاعات العرش فيها لاحداث الرعب والخوف في نفوس الوفود التي كانت تؤم تلك القصور فيشعرون بقوة الملوك الآشوريين وجبروتهم وبطشهم وسهولة قضائهم على ثورات الولايات التابعة للامبراطورية الآشورية . وبعبارة اخرى كان فن النحت بوجه عام فنا امبراطوريا رسميا ، موضوعه الاساسي التعبير عن قوة الامبراطورية وملوكها .



Scanned by CamScanner

واستتبع عن هذه الاغراض التي نوهنا بها ان فن النحت اصبح كما قلنا يستعمل بكثرة في تزيين قصور الملوك .وقد عثر المنقبون في هذه القصور مثل قصر سنحاريب في نينوى وقصور الملكين آشور ناصر بال وابنه شليمنصر الثالث في نمرود وفي قصر سرجون في خرسباد على نماذج لا تحصى من تلك المنحوتات وكان بعضها يبلغ عدة اميال في الجدران المزينة به .

ووجد الفنانون الآشوريون المادة الضرورية لمنحوتاتهم في انواع الاحجار المتنوعة الكثيرة في الاقسام الشمالية من العراق ومنها حجر الكاس الخاص ( Limestone ) المنتشر في منطقة الموصل الذى يعرف باسم الحلان ، ذى اللون الاصفر الضارب الى الحمرة ، وهناك نوع من حجر الكلس المرمرى الضارب الى الزرقة وقد عثر على نماذج لا تحصى من المنحوتات من كلا هذين النوعين من الحجر .

وبلغ فن النحت البارز اوج ابداعه في تمثيل المشاهد الحية مما عثر عليه في قصر آشور بانيبال في نينوى ومن بينها مشاهد صيد الاسود التي اولع بها الملوك الآشوريون ولعاً شديداً ومطاردة الخيول الوحشية ، وقد بلغ الكثير منها من قوة التعبير والحيوية الفنية مثل الاسد والنبوءة الجريحين درجة بحيث يمكن عدها من اروع قطع الفن القديم والحديث وجعلت فن النحت الآشورى يكون في مقدمة فنون الحضارات القديمة ومنها الفن اليوناني .

وهناك ظاهرة اخرى بارزة في فن النحت الآشورى تلك هي نحت التماثيل الضخمة ، بعضها يمثل الملوك والقواد وبعضها يمثل الثيران المجنحة والاسود المجنحة التي بلغت زنة بعضها عشرات الاطنان:وكانت هذه المنحوتات عندهم من قبيل «الملاك الحارس » ويضعونها في مداخل القصور وبوابات المدن الكبرى كما في نينوى وفي خرسباد ونمرود ، وقد وجد من هذه التماثيل العشرات بل المئات وهي الآن تزين المتاحف العالمية الشهيرة ولا سيما المتحف البريطاني الذي نال حصة الاسد من المنحوتات الآشورية لأنه كما ذكرنا مرارا كان اول من عثر على تلك المنحوتات في نينوى ونمرود وغيرها:ومثل متحف اللوفر ( بباريس ) حيث تعرض فيه الآن المنحوتات التي كشف عنها المنقبون الفرنسيون ولا سيما



Scanned by CamScanner

# الفصل السابع

## تراث حضارة وادي الرافدين

يقصد بمصطلح التراث الحضاري ( Cultural Legacy ) ماتخلفه الحضارة في الحضارات الاخرى اللاحقة من تأثيرات وعناصر حضارية تدخل في بنائها الحضاري بشتى من التحوير والتطوير يلائم طبيعتها وخصائصها العامة ، ولقد انتقلت هذه التأثيرات الحضارية في سلسلة متصلة من الاقتباسات الى الحضارة العالمية المعاصرة التي اسهمت في بنائها الحضارات الاخرى منذ ظهور اولى الحضارات البشرية في وادى الرافدين ووادى النيل ثم الحضارة اليونابية التي اقتبست عناصر حضارية اساسية في تينيك الحضارتين وانتقلت منها بعد التحوير والتطوير والاضافة الى الحضارة العربية الاسلامية ، واخيرا انصبت تلك الروافد الحضارية في حضارتنا الراهنة .

وقد وضع الباحثون المختصون في تاريخ الحضارات قواعد للاقتباس الحضاري اي اقتباس حضارة لاحقة من حضارة اقدم منها هي: (١) سبق الحضارة المقتبس عنها (٢) وجود اوجه شبه واضحة ما بين العناصر الحضارية المقتبس عنها والعناصر المقتبسة (٣) اثبات الاتصالات التاريخية التي عن طريقها انتقلت تلك العناصر الحضارية . وتنطبق هذه الشروط والقواعد على اقتباسات الحضارات الاخرى اللاحقة من الحضارات القديمة التي ازدهرت في اقطار الوطن العربي واقدمها حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل . وبالنظر الى طبيعة هذا الموضوع فأن ما سنوجزه من النقاط عن تراث حضاره وادين الرافدين تكرار بالدرجة الاولى لكثير من المواد الواردة في الفصول السابقة ولا سيما القسم الثاني من الكتاب ، اي القسم الحضاري.

(١) يعتمد هذا الفصل في مادته على مادة فصول الجزء الثاني في هذا الكتاب ، اي القسم الحضاري .



Scanned by CamScanner

ومما لاشك في ان الطالب قد كون فكرة عامه وحصلت له القناعة مما عرضناه في القسم الثاني من العناصر والاوجه المختلفة من حضارة وادي الرافدين بأن اسس الحضارة والعمران البشري ومبادىء العلوم والمعارف المختلفة قد ظهرت في تلك الحضارة التي كانت هي وحضارة وادي النيل اقدم حضارتين في تاريخ العالم حيث انتقلت البشرية بظهورهما منذ الالف الرابع ق.م ( اي قبل اكثر من خمسة الاف عام ) من عصور ماقبل التاريخ البدائية قبل اكثر من مليون عام ) وتكامل تطور الانسان الحضاري في تينيك الحضارتين بظهور الحضارة والتمدن ، حيث المدن الكبيرة واسس النظم الاجتماعية والسياسية والتدوين ، والقوانين المدونة وتنظيم شؤون المجتمع ومبادي العلوم والمعارف واساليب الري المنظم والتعدين ، واخذت سيطرة الانسان على بيئة الطبيعية تزداد بالافادة من الموارد الطبيعية وتسخيرها لحاجاته . وفي مقدمة ذلك تنظيم شؤون الارواء والسيطرة على الانهار وقد مر بكم كيف صاحب ظهور الحضارة الناضجة في بلاد وادي الرافدين اعظم اختراع في تاريخ الانسان ونعني بذلك الكتابة والتدوين منذ منتصف الالف الرابع ق.م . والكتابة على ماهو بديهي ومعروف مرادفة للحضارة والتاريخ ، فبواسطتها استطاع الانسان ان يسجل اعماله وشؤون حياته المختلفة وبها صارت المعارف والخبرات تنتقل من جيل الى جيل فتتراكم الخبرات والمعارف وتتسارع عجلة التطور . وقد دون سكان وادي الرافدين في الخط المسماري الذي اخترعوه بالاضافة الى شؤون حياتهم الاعتيادية أراءهم وافكارهم عن الكون والحياة واصل الاشياء وآدابهم من نثر وشعر حيث خلفوا لنا الملاحم البطولية مثل ملحمة جلجامش الشهيرة . وأساطير طريفة ومهمة عن الخليفة واصل الاشياء وخلق الانسان الى غير ذلك من الموضوعات الادبية المعروفة في الآداب العالمية القديمة وقد ظهرت الدراسات والبحوث الحديثة ان ادب حضارة وادي الرافدين ترك تراثا ضخما في آداب الحضارات اللاحقة مثل الادب اليوناني الممثل بالالياذة والاوديسة وهما الملحمتان الشهيرتان المنسوبتان الى الشاعر اليوناني الشهير «هوميروس» ( ويقدر زمن تدوينها ما بين القرنين الثامن والسابع ق.م ) ، فقد وجدت اوجه شبه كثيرة ما بين الاعمال المنسوبة لابطال هاتين الملحمتين واعمال الملاحم السومرية والبابلية وفي مقدمتها ملحمة جلجامش وقصص الطوفان والخليفة ، وقد بلغ تراث هذه



Scanned by CamScanner

النصوص الادبية في الأدب العبراني الممثل بالتوراة مدى بعيدا بحيث ان روايات قد نقلت برمتها مثل اسطورة الخليفة البابلية وقصص الطوفان التي درستم عنها في الفصل الخاص بالحياة الفكرية أضافة الى المضاهاة بين الالياذة والأودية وبين ملحمة جلجامش. واذا علمنا ان التأثيرات الكبرى التي تركتها الآداب اليونانية والعبرانية في الحضارة الحديثة ادركنا عظم تراث حضارة وادي الرافدين في هده الحضارة ، وكذلك تراث الحضارات القديمة الاخرى وفي مقدمتها حضارة وادي النيل وينبغي انننضيف الى هذا التراث الادبي من حضارة وادي الرافدين الاثار الواضحة التي خلفتها في المعتقدان الدينية والاساطير والخرافات والمعتقدات السحرية والتنجم ، ويمكن الوقوف بسهولة على آثار الكثير من هذه المعتقدات والاساطير والحكايات في عصرنا الراهن في ارجاء الوطن العربي والاقطار الاخرى .

وما دمنا في معرض التراث الادبي لحضارة وادي الرافدين فيجدر ان ننوه بعنصر مهم من هذا التراث الحضاري .وهو فن المكتبات ودور السجلات ( الارشيفات ) . فقد استتبع التدوين بالحط المسماري واتخاذ الطين المادة الاساسية للتدوين ظهور تلك العناصر التي تعد على غاية من الاهمية في تقدم الحضارة والمعرفة ، فان الكتبة في حضارة وادي الرافدين المتطلعين بالفنون والعلم والمعارف قد دونوا أنواعا مختلفة من النصوص المسمارية كالاداب والعلوم والمعارف وعلى ما هو معروف لا تساعد مادة الكتابة التي اتخدوها وهي الطين بالدرجة الاولى لتدوين النصوص الادبية المطولة مثل ملحمة جلجامش واساطير الخليقة والطوفان فكانوا يدونون مثل هذه النصوص ، كما مر بكم ، على عدة الواح من الطين ويجعلونها على هيئة سلاسل ، لكل سلسلة عنوانها ويرقمونها . كما نشأ في حضارة وادي الرافدين اقدم المؤلفات من المعاجم اللغوية حيث خلف لنا كتبه العراق القديم القديم جداول متنوعة بشرح العلامات المسمارية ومعانيها باللغة السومرية ومرادفاتها باللغة البابلية ومعاجم اخرى في شرح الجمل والكلمات البابلية وخلفوا لنا أيضا معاجم بهيئة جداول باسماء النباتات والحيوانات والمعادن والاحجار بحسب تصنيف خاص ساروا عليه ، وهذه اقدم مؤلفات في علوم الحياة وما دمنا في ذكر التراث اللغوي الادبي يجدر ان نؤكد ماأثبتته الدراسات اللغوية الحديثة من ان طائفة مهمة من



Scanned by CamScanner

الكلمات والمصطلحات السومرية والبابلية قد انتقلت الى الحضارات الاخرى ومنها الحضارة اليونانية ومنها الى اللغات الاوربية الحديثة وفيها مصطلحات مهمة خاصة بالنباتات والاعشاب والعقاقير لا شك في انها انتقلت مع ما انتقل من المعارف الطبية الى تلك الحضارة ويكفي ان نذكر امثلة بارزة منها :

| أنجليزي | يوناني | بابلي | |
|---|---|---|---|
| CAROB | CHARROUBA | خروبا | ( خروب ) |
| CROCUS | KROKOS | كركنو | ( كركم ) |
| CUMMIN | KUMINON | كمونو | ( كمون ) |
| GYPSUM | GUPSOS | كصو | ( جص ) |
| MYRRH | MURRA | مرو | ( مر ) |
| NAPHTHA | NAPHTHOS | نپطو | ( نفط ) |
| CANON | KHANNA | قانو | ( قانون ) |
| MINA | MINA | منا | ( من ) |
| SHEKEL | SHEKE | شقلو | ( شيقل ،شاقل ) |
| CHRYSALIS | KHROSSUS | خُراصو | ( ذهب ) |

وهناك مجموعات كبيرة من المفردات التي دخلت الى العربية وحسبتها المعجمات العربية على انها كلمات دخيلة او اعجمية ولكنها في الواقع كلمات بابلية او سومرية دخلت الى العربية عن طريق اللغات الاخرى كالفارسية والسريانية والعبانية ونذكر في مقدمة ذلك ان اسماء الاشهر المستعملة في العراق وفي بعض الاقطار العربية من اصل بابلي مثل اذار ونيسان وايار وتموز وآب وتشرين وغيرها من الاشهر المتداولة والتي يسميها الناس بالاشهر الرومية او السريانية . والجدير بالذكر ان طائفة من هذه المفردات انحصر استعمالها في العامية العراقية وهي تراث عراقي قديم ، والكثير منها مصطلحات خاصة بالزراعة والفلاحة والبساتين .



Scanned by CamScanner